

## الإمام أبو حنيفة النعمان ومكانته في الحديث

محمد عبد الرشيد النعماني

بادئ ذي بدء نودّ الاشارة إلى ما قاله الإمام الذهبي - رحمه الله - وهو من أهل الخبرة والبصيرة في نقد الرجال - في ترجمة العلامة الإمام فقيه العراق حماد بن أبي سليمان رحمه الله تعالى: في كتابه سير أعلام النبلاء:

"فأفقه أهل الكوفة علي وابن مسعود، وأفقه أصحابهما علقمة، وأفقه أصحابه إبراهيم، وأفقه أصحاب إبراهيم حماد، وأفقه أصحاب حماد أبو حنيفة، وأفقه أصحابه أبو يوسف وانتشر أصحاب أبي يوسف في الآفاق، وأفقهمهم محمد، وأفقه أصحاب محمد أبو عبد الله الشافعي رحمهم الله تعالى"<sup>(١)</sup>. وقال في ترجمة أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه:

"الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة"....<sup>(٢)</sup>.

وقال: "... وعني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فأليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: "الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لاشك فيه".

وليس يصح في الأذهان شيء، إذا احتاج النهار إلى دليل<sup>(٤)</sup>.

وقال في ترجمة الإمام مالك - رحمه الله - بعد أن نقل عن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -

أنه قال:

"العلم يدور على ثلاثة مالك، والليث، وابن عيينة"، "قلت: بل وعلى شعبة معهم، وهم:

الأوزاعي، والثوري، ومعمر، وأبو حنيفة، وشعبة، والحمادان"<sup>(٥)</sup>.

وذكر في ترجمته أيضاً - عن الإمام أبي يوسف أنه قال:-

"ما رأيت أعلم من أبي حنيفة ومالك وابن أبي ليلى"<sup>(٦)</sup>.

ولما ذكر في ترجمته الأسطورة التي تعزى إلى محمد والشافعي رحمهما الله تعالى في مقارنة علم مالك وأبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - ما لفظها:

"عن ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول: "قال لي محمد: أيهما أعلم: صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني أبا حنيفة ومالكاً - قلت: على الإنصاف قال: نعم - قلت: أنشدك بالله، من أعلم بالقرآن؟ قال صاحبكم، قلت: من أعلم بالسنة؟ قال: صاحبكم، قلت: فمن أعلم بأقوال الصحابة والمتقدمين؟ قال: صاحبكم، قلت: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟

انتقد عليها قائلاً:

"قلت: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هما سواء في علم الكتاب، والأول أعلم بالقياس، والثاني أعلم بالسنة، وعنده علم جم، من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلم بأقوال علي، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقت لا يقدر الشخص على النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة" (٧).  
وقال أيضاً في ترجمته:

"والمقلدون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة السلماني وسعيد بن المسيب وأبي الشعثاء وسعيد بن جبيرة وعبيد الله بن عبد الله وعروة والقاسم والشعبي والحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي.  
ثم كالثوري وأبي الزناد وأيوب السختياني وربيعة وطبقتهم، ثم كآبي حنيفة ومالك والأوزاعي وابن جريج ومعمرو ابن أبي عروبة وسفيان الثوري والحماديين وشعبة والليث وابن الماجشون وابن أبي ذئب.

ثم كابن المبارك ومسلم الزنجي والقاضي أبو يوسف والهقل ابن زياد ووكيعة والوليد بن مسلم وطبقتهم.

ثم كالشافعي وأبي عبيد وأحمد وإسحاق وأبي ثور والبويطي وأبي بكر بن أبي شيبة.  
ثم كالزني وأبي بكر الأثرم والبخاري وداؤد بن علي ومحمد بن نصر المروزي وإبراهيم الحربي وإسماعيل القاضي.

ثم كمحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن خزيمة وأبي عباس ابن سريج وأبي بكر بن المنذر وأبي جعفر الطحاوي وأبي بكر الخلال.

ثم من بعد هذا النمط تناقض الاجتهاد، ووضعت المختصرات وأخذ الفقهاء إلى التقليد، من

غير نظر في الأعم بل بحسب الاتفاق والتشهي والتعظيم والعادة والبلد - فلو أراد الطالب اليوم أن يتمذهب في المغرب لأبي حنيفة، لعسر عليه، كما لو أراد أن يتمذهب لابن حنبل ببخارى وسمرقند، لصعب عليه، فلا يجيء منه حنبلي ولا من المغربي حنفي ولا من الهندي مالكي" (٨).

وقد سرد الإمام الحافظ الذهبي في ترجمة أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - الأسطورة التي رواها الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي يوسف عن أبي حنيفة في ابتداء طلبه العلم واختياره الفقه من بين سائر العلوم وحكم عليها بالوضع والاختلاق فأفاد وأجاد، قال - رحمه الله تعالى:

"أخبرنا ابن علان كتاباً، أنبأنا الكندي، أنبأ القزاز، أنبأ الخطيب، أنبأنا الخلال، أنبأنا علي بن عمرو الحريري، حدثنا علي بن محمد بن كأس النخعي، حدثنا محمد بن محمود الصيدناني، حدثنا محمد بن شجاع بن الثلجي، حدثنا الحسن بن أبي مالك، عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: "لما أردت طلب العلم، جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها، فقليل: تعلم القرآن، فقلت: إذا حفظته فما يكون آخره؟ قالوا تجلس في المسجد، فيقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك.

قلت: من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا، وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه: "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" يا سبحان الله؛ وهل محل أفضل من المسجد؟ وهل نشر العلم يقارب تعليم القرآن؟ كلا والله - وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟ و أحسب هذه الحكاية موضوعة، ففي إسنادها من ليس بثقة.

#### تتمة الحكاية:

ثم قال: "قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني؟ قالوا: إذا كبرت، وضعفت، حدثت واجتمع عليك هؤلاء الأحداث والصبيان، ثم لم تأمن أن تغلط، فيرموك بالكذب، فيصير عارا عليك في عقبك، فقلت: لا حاجة لي في هذا.

قلت: الآن كما جزمتم بأنها حكاية مختلقة فإن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مائة وبعدها ولم يكن إذ ذاك يسمع الحديث الصبيان، هذا اصطلاح وجد بعد ثلاث مائة سنة، بل كان يطلبه كبار العلماء، بل لم يكن للفقهاء علم بعد القرآن سواه ولا كانت دونت كتب الفقه أصلاً.

ثم قال: "قلت: أتعلم النحو، فقلت: إذا حفظت النحو والعربية، ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلماً أكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة. قلت: وهذا العاقبة له، قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني؟ قالوا: تمدح هذا فيهب لك، أو يخلع عليك، وإن حرمك هجوته، قلت: لا حاجة فيه. قلت: فإن نظرت في الكلام، ما يكون آخر أمره؟ قالوا: لا يسلم من نظرت في الكلام من

مشنعات الكلام، فيرمى بالزندقة، فيقتل. أو يسلم مذموماً.

قلت: قاتل الله من وضع هذه الخرافة. وهل كان في ذلك الوقت وجد علم الكلام؟

قال: قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسأل وتفتي الناس. وتطلب للقضاء. وإن كنت شاباً.

قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا. فلزمت الفقه وتعلمته<sup>(٩)</sup>.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام سفيان الثوري من كتابه تذكرة الحفاظ معلقاً على قوله

- رحمه الله تعالى:

"ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل."

"قلت: صدق والله، إن طلب الحديث شيء غير الحديث. فطلب الحديث اسم عرفي لأمر

زائدة على تحصيل ماهية الحديث، وكثير منها مراق إلى العلم، وأكثرها أمور يشغف بها المحدث،

من تحصيل النسخ المليحة. وتطلب العالي. وتكثير الشيوخ. والفرح بالألقاب. والثناء. وتمني العمر

الطويل ليروي. وحب التفرد. إلى أمور عديدة لازمة للأغراض النفسانية. لا الأعمال الربانية. فإذا

كان طلبك الحديث النبوي محفوفاً بهذه الآفات فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص؟ وإذا كان علم

الآثار مدخولاً، فما ظنك بعلم المنطق والجدال وحكمة الأوائل التي تسلب الإيمان. وتورث الشكوك

والحيرة؟ التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين. ولا من علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي

حنيفة وابن أبي ذئب. ولا والله عرفها ابن المبارك ولا أبو يوسف القائل: من طلب الدين بالكلام

ترزق! ولا وكيع ولا ابن مهدي ولا ابن وهب ولا الشافعي ولا عفان ولا أبو عبيد ولا ابن المديني

وأحمد وأبو ثور والمزني والبخاري والأثرم ومسلم والنسائي وابن خزيمة وابن سريج وابن المنذر

وأمثالهم. بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك. نعم، وقال سفيان أيضاً: فيما

سمعه منه الفريابي: ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه"<sup>(١٠)</sup>.

وقال في خاتمة الطبقة الخامسة التي ذكر فيها أبا حنيفة ومالكا والأوزاعي وسفيان: "وفي

زمان هذه الطبقة، كان الإسلام وأهله في عز تام وعلم غزير.... وكان في هذا الوقت من الفقهاء، كأبي

حنيفة ومالك والأوزاعي الذين مروا"<sup>(١١)</sup>.

قلت: فقد ثبت مما نقلناه من تصريحات الحافظ الذهبي أمور:

١- كانت علوم أبي حنيفة - رحمه الله - القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك.

٢- إن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مائة وبعدها، بل لم يكن إذ ذاك

للفقهاء علم بعد القرآن سواه، وقد عني الإمام بطلب الآثار، وارتحل في ذلك.

٣- وكان أعلم بأقاويل عليّ وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم.

٤- وكان من الأئمة العشرة الذين يدور عليهم العلم في ذلك العصر. فهو قرين مالك والأوزاعي

والثوري والليث وابن عيينة ومعمر وشعبة والحماديين في علم الكتاب والسنة.

٥- واليه المنتهى في الفقه، والناس عيال عليه في ذلك.

فهذا رأي مؤرخ الإسلام الحافظ الناقد البصير شمس الدين الذهبي الذي هو من أهل

الاستقراء التام في نقد الرجال في حق إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه.

ثناء ابن تيمية على أبي حنيفة:

وقال شيخه ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المفسر شيخ الإسلام تقي

الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، البارع في الرجال وعلل الحديث في كتابه منهاج

السنة النبوية في نقض قول الشيعة والقدرية ما نصه:

”وهؤلاء أهل العلم الذين يبحثون الليل والنهار عن العلم. وليس لهم غرض مع أحد بل

يرجحون قول هذا الصحابي تارة، وقول هذا الصحابي تارة، بحسب ما يرونه من أدلة الشرع. كسعيد

بن المسيب، وفقهاء المدينة مثل عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعلي بن الحسين وأبي بكر بن

عبدالرحمن وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وسالم بن عبد الله بن

عمر وغير هؤلاء، ومن بعدهم، كابن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد وأبي الزناد وربيعه ومالك بن

أنس وابن أبي ذئب وعبد العزيز الماجشون وغيرهم.

ومثل طاؤس اليماني ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعبيد بن عمير وعكرمة مولى ابن

عباس، ومن بعدهم مثل عمرو بن دينار وابن جريج وابن عيينة، وغيرهم من أهل مكة.

ومثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد أبي الشعثاء ومطرف بن عبد الله بن

الشيخير، ثم أيوب السختياني وعبد الله بن عون وسليمان التيمي وقتادة وسعيد بن أبي عروبة وحماد

بن سلمة وحماد بن زيد.

وأمثالهم مثل علقمة والأسود وشريح القاضي وأمثالهم. ثم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي

والحكم بن عتيبة ومنصور بن المعتمر إلى سفيان الثوري وأبي حنيفة وابن أبي ليلى وشريك إلى وكيع

بن الجراح وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأمثالهم.

ثم الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبو عبيد القاسم بن سلام والحميدي عبد

الله ابن الزبير وأبو ثور ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن جرير الطبري وأبو بكر بن المنذر<sup>(١٢)</sup>.

فقد عدّ الحافظ ابن تيمية أبا حنيفة وصاحبه أبا يوسف ومحمد بن الحسن في أهل العلم

الذين يبحثون الليل والنهار عن العلم وليس لهم غرض مع أحد، بل يرجحون قول هذا الصحابي تارة

وقول هذا الصحابي تارة، بحسب ما يروونه من أدلة الشرع، وقرناءهم. وصرح في موضع آخر من كتابه هذا أن "أبا حنيفة وأصحابه ممن له في الأمة لسان صدق من علماءها" (١٣).  
وقال في موضع آخر ما نصه:

"فقد جاء بعد أولئك في قرون الأمة من يعرف كل أحد زكاهم وذكاهم، مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي وعلقمة والأسود وعبيدة السلماني وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء جابر بن زيد وعلي بن زيد وعلي بن الحسين، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، والقاسم ابن محمد بن أبي بكر، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومطرف بن الشخير، ومحمد بن واسع وحبیب العجمي ومالك ابن دينار ومكحول والحكم بن عتيبة ويزيد بن أبي حبيب ومن لا يحصى عددهم إلا الله.  
ثم بعدهم أيوب السختياني وعبد الله بن عون ويونس بن عبيد وجعفر بن محمد والزهري وعمر بن دينار ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيع بن أبي عبد الرحمن وأبو الزناد ويحيى بن أبي كثير وقتادة ومنصور بن المعتمر والأعمش وحماد ابن أبي سليمان وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة.  
ومن بعد هؤلاء مثل مالك بن أنس وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة والليث بن سعد والأوزاعي وأبي حنيفة وابن أبي ليلى وشريك، وابن أبي ذئب وابن الماجشون ومن بعدهم.

مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ابن الجراح وعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن العزيز، وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والشافعي، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وأبي ثور ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى، ممن ليس لهم غرض في تقديم غير الفاضل، لا لأجل رياسة ولا مال، وممن هم من أعظم الناس نظرا في العلم وكشفا لحقائقه" (١٤).  
وقال في موضع آخر:

"... أئمة أهل الحديث والتفسير والتصوف والفقهاء مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم" (١٥).

وقال رحمه الله أيضاً في موضع آخر:

"..... أئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد

والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف" (١٦).

وقال رحمه الله أيضاً، ما لفظه:

"..... وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد والأوزاعي

وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق وداؤد ومحمد بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي

وأبي بكر بن المنذر ومحمد بن جرير الطبري وأصحابهم" (١٧).

فمن يقرأ تراجم هؤلاء العلماء الأعلام والأئمة البررة الكرام في كتب الرجال والتواريخ يعترف بجلالة شأنهم وإمامتهم. والحافظ ابن تيمية يعدّ الإمام وصاحبيه في زمرة هؤلاء الكبار، ويصفهم تارة "بالأئمة المتبوعين" وتارة: "بأئمة الإسلام المعروفين بالإمامة في الدين" ومرة: "بأئمة أهل الحديث والتفسير والتصوف والفقه" فمرة يقول: "هم من أعظم الناس نظرا في العلم وكشفا لحقائقه، ويعرف كلُّ أحدٍ زكائهم وذكاءهم" وأخرى يصفهم: "بأنهم الذين يبحثون الليل والنهار عن العلم" فمن يكون موصوفا بهذه الصفات العليا، فلا تسأل عن إمامته في الحديث، ووثوقه في الرواية، وكثرة إتقانه وضبطه وحفظه وبراعته وتضلعه في علوم الكتاب والسنة، فهؤلاء الذين قد جازوا القنطرة ووصلوا ذروة الكمال في العلم، وكتب الرجال والطبقات مشحونة بذكر فضائلهم ومناقبهم، وسارت الركبان بمآثرهم ومعاليهم، وقد جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين، وجرت على أقاويلهم الفتوى، وتبعتهم الأمة، فلا يقبل في هؤلاء قول كل قائل يرميهم بسوء أو تقصير في العلم والرواية.

كثرة أتباع أبي حنيفة واشتهار مذهبه في الآفاق:

ثم قد امتاز الإمام أبو حنيفة من بين هؤلاء الأئمة بكثرة أتباعه واشتهار مذهبه في الآفاق فقد تبعه شطر أهل البسيطة، بل ثلثاها، ومذهبه كما هو أول المذاهب تدوينا، كذلك يكون أكثرها دواما إن شاء الله تعالى.

قال الحافظ الذهبي:

"اشتهر مذهب الأوزاعي مدة، وتلاشى أصحابه، وتفانوا وكذلك مذهب سفيان وغيره ممن سمينا، ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهب الأربعة. وقلّ من ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلا عن أن يكون مجتهدا. وانقطع أتباع أبي ثور بعد الثلاث مائة، وأصحاب داؤد إلا القليل وبقي مذهب ابن جرير إلى ما بعد الأربع مائة.... ولا بأس بمذهب داؤد، وفيه أقوال حسنة، ومتابعة للنصوص، مع أن جماعة من العلماء لا يعتدون بخلافه، وله شذوذ في مسائل شانت مذهب" (١٨).

وقال في تذكرة الحفاظ:

"كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي، مدة من الدهر، ثم فني العارفون به، وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف" (١٩).

وقال الإمام الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتاب الميزان:

"ومذهبه - أي أبي حنيفة - أول المذاهب تدوينا، وآخرها انقراضا كما قاله بعض أهل الكشف - قد اختاره الله تعالى إماما لدينه وعباده، ولم يزل أتباعه في زيادة في كل عصر إلى يوم القيامة، لو حبس أحدهم وضرب على أن يخرج عن طريقه ما أجاب، فرضي الله عنه وعن أتباعه وعن كل من لزم الأدب معه ومع سائر الأئمة" (٢٠).

وقال أيضاً:

"إن الله تعالى لما منَّ عليّ بالاطلاع على عين الشريعة، رأيت المذاهب كلها متصلة بها، ورأيت مذاهب الأئمة الأربعة تجري جداولها كلها، ورأيت جميع المذاهب التي اندرست، قد استحالت حجارة، ورأيت أطول الأئمة جدولا الإمام أبا حنيفة وبيليه الإمام مالك، وبيليه الإمام الشافعي، وبيليه الإمام أحمد بن حنبل، وأقصرهم جدولا مذهب الإمام داود، وقد انقرض في القرن الخامس، فأولت ذلك بطول زمن العمل بمذاهبهم وقصره، فكما كان مذهب الإمام أبي حنيفة أول المذاهب المدونة تدوينا، فكذلك يكون آخرها انقراضا، وبذلك قال أهل الكشف" (٢١).

كان أبو حنيفة حجة ثبتا أعلم عصره بالحديث ومن صيارفته:

وقال شمس الأئمة الإمام أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي - رحمه الله تعالى:

"كان الإمام أبو حنيفة أعلم عصره بالحديث" (٢٢).

وقال الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني - رحمه الله تعالى:

"إنه كان من صيارفة الحديث، وكان من مذهبه تقديم الخبر وإن كان في حدّ الأحاد على

القياس بعد أن كان راويه عدلا، ظاهر العدالة" (٢٣).

وقال العلامة الفقيه محمد أمين المعروف بابن عابدين الشامي:

"إن الإمام حجة ثبت لا يضع ولا يروي عن وضاع" (٢٤).

عداده في الحفاظ:

وقد أطبق الحفاظ الجهابذة المحدثون الذين صنفوا في طبقات الحفاظ على ذكر الإمام فيهم،

فهذا الحافظ الذهبي، يترجم له في تذكرة الحفاظ ويثني عليه، وقد قال في مبدأ كتابه:

"هذه تذكرة بأسماء معدلي حملة العلم النبوي، ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق

والتضعيف، والتصحيح والتزييف".

وكتابه تذكرة الحفاظ مطبوع - متداول قد طبع مرارا وتبعه الإمام المحدث الحافظ ذو الفنون

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي في كتابه المختصر في طبقات علماء الحديث

فأورده في كتابه وترجم له وأثنى عليه خيرا والكتاب غير مطبوع إلى الآن. فأحب أن أذكر ما قاله برمته.

قال رحمه الله:

"(ت، س) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطى، التيمي مولاهم، الكوفي، الإمام، فقيه

العراق، مولده سنة ثمانين، رأى أنس بن مالك غير مرة، لما قدم عليهم الكوفة، روى ابن سعد عن

سيف بن جابر، أنه سمع أبا حنيفة يقول... حَدَّثَ عن عطاء ونافع وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعدي بن ثابت وسلمة بن كهيل وأبي جعفر محمد بن علي وقتادة وعمرو بن دينار وأبي إسحاق وخلق. تفقه به زفر بن الهذيل وداؤد الطائي وأبو يوسف ومحمد وأسد بن عمرو والحسن بن زياد اللؤلؤي ونوح الجامع و أبو مطيع البلخي وعدة، وكان تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره. وحدث عنه وكيع ويزيد بن هارون وسعد بن الصلت وأبو عاصم وعبد الرزاق وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن المقرئ وخلق.

وكان إماما ورعا عالما عاملا متعبدا كبير الشأن، لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويكتسب. قال ضرار بن صرد: سئل يزيد بن هارون، أيهما أفقه، الثوري أو أبو حنيفة؟ فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث.

وقال ابن المبارك: "أبو حنيفة أفقه الناس"، وقال الشافعي: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة"، وقال يزيد: "ما رأيت أحدا أروع ولا أعقل من أبي حنيفة" وقال أبو داؤد: "رحم الله أبا حنيفة، كان إماما".

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: كنت أمشي مع أبي حنيفة، فقال رجل لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا، ومناقبه وفضائله كثيرة.

وكان موته في رجب سنة خمسين ومائة - رحمه الله تعالى (٢٥).

وقال في مبدأ كتابه:

"وبعد فهذا كتاب مختصر، يشتمل على جملة من الحفاظ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين، ومن بعدهم، لا يسع من يشتغل بعلم الحديث الجهل بهم".

ومع كون الكتاب مختصراً، ذكر الإمام فيه، وهذا يدل على كون الإمام من الحفاظ المعدودين الذين ينبغي الاعتناء بتراجمهم.

ثم ذكره في الحفاظ الإمام العلامة الحافظ الحجة مؤرخ الديار الشامية وحافظها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بأبن ناصر الدين - رحمه الله تعالى - في كتابيه بديعة البيان عن موت الأعيان منظومة، وشرحها التبيان لبديعة البيان وهي طبقات الحفاظ نظماً ونثراً. وقد رأيت منها نسخة مخطوطة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة، بالمدينة المنورة حين سافرت للحج في ١٣٨٧هـ ضمن كتب التواريخ رقم (٤٨) جاء فيها ما نصه:

بعدهما فتى جريج الداني مثل أبي حنيفة النعمان أي بعد وفاة الحجاج والزبيدي بعام،

وفاة ابن جريج وأبي حنيفة الإمام، فالأول عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد، وقيل أبو خالد الأموي مولاهم المكي.....

والثاني النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي مولاهم، الكوفي.

وقيل: هو من أبناء فارس، قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: فيما روي عنه: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان المرزبان من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. انتهى.

رأى الإمام أنس بن مالك غير مرة، لما قدم عليهم الكوفة، فيما رواه سيف بن جابر سمعا من أبي حنيفة، وحدث عن عطاء ونافع وعمرو بن دينار والأعرج وقتادة، وخلق من الأخيار. وكان أحد أئمة الأمصار، فقيه العراق، متعبدا، كبير الشأن، وكان يتجر، ولا يقبل جوائز السلطان. وهو أحد من كان يختم في ركعة القرآن، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة، وفضائله كثيرة معروفة. قال الشافعي:

"الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة".

وذكره أيضاً الإمام المحدث جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي الشهير بابن المبرد (بكسر الميم وسكون الموحدة، وفتح الراء الخفيفة) في كتابه طبقات الحفاظ وقد نقل عنه الشيخ العلامة المحدث عبد اللطيف بن المخدم العلامة محمد هاشم السندي، في كتابه ذب ذبابات الدراسات عن المذاهب الأربعة المتناسبات<sup>(٢٦)</sup>.

ثم ذكره بعدهم خاتمة الحفاظ الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه طبقات الحفاظ وقد ذكرت ما قاله الحافظ السيوطي في ترجمة الإمام أبي حنيفة في التعليقات على ذب ذبابات الدراسات عن المذاهب الأربعة المتناسبات فليراجع، وقد طبع كتاب طبقات الحفاظ للسيوطي في أوربا وبيروت. وقال في مبدأ كتابه:

"أما بعد، فهذا كتاب طبقات الحفاظ ومعدلي حملة العلم النبوي، ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق والتجريح والتضعيف والتصحيح، لخصتها من طبقات إمام الحفاظ أبي عبد الله الذهبي وذيلت عليه من جاء بعده".

وقد عقد الشيخ العلامة الثقة المطلع والحافظ المتبع الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي مؤلف السيرة الشامية في كتابه عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في "الباب الثالث والعشرين" في "بيان كثرة حديثه، وكونه من أعيان الحفاظ من المحدثين" قال فيه - رحمه الله تعالى:

”إعلم رحمك الله تعالى أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى، من كبار حفاظ الحديث، وذكره الحافظ الناقد أبو عبد الله الذهبي في كتابه الممتع و طبقات الحفاظ المحدثين منهم – ولقد أصاب و أجاد، ولولا كثرة اعتناؤه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه، فإنه أول من استنبطه من الأدلة“ (٢٧).

وقال العلامة المحدث إسماعيل العجلوني بن محمد جراح في رسالته المسماة عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين وهي ثبته المعروف بالرسالة العجلونية: ”وزدت على ما فيها“ مسند الإمام أبي حنيفة النعمان، تنويها بأنه من أهل هذا الشأن“.

ثم علق على قوله: ”الإمام أبي حنيفة النعمان“ بالهامش ما نصه: ”هو إمام الأئمة، هادي الأمة أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ولد سنة ثمانين، وتوفاه الله تعالى سنة مائة وخمسين من الهجرة“. أحد من عدّ من التابعين، إمام المجتهدين بلا نزاع، أول من فتح باب الاجتهاد بالإجماع، لا يشك من وقف على فقهه وفروعه، في سعة علومه وجلالة قدره، وإنه كان أعلم الناس بالكتاب والسنة. لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وتحمله والجد والتشمير في ذلك، لياخذ الدين من أصول صحيحة، ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها.

وقد أجمع الناقلون عنه من أهل الأصول وأهل الحديث أنه يقدم الحديث الصحيح على القياس المعتبر؛ نعم لم يكن هو رضي الله عنه، من الكثيرين كسائر الأئمة، وليس من شروط الإمامة والاجتهاد الإكثار في الرواية، لأن الاجتهاد إنما يتوقف على حفظ السنن وتحملها، لا على أدائها وتبليغها، فالصديق رضي الله عنه، إمام الصحابة وأفقهم وأحفظهم لا يشك فيه مسلم، لم يكثر، وإنما روى أحاديث معدودة، وإمام المحدثين بالإجماع إمام الأئمة، وإمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه، لم يصح عنده إلا ما في كتاب المؤطأ فهل يقول قائل فيه شيئاً، ونحن لا ننكر أن في السنن سننا لم تبلغ الإمام أبا حنيفة، أو بلغته ولم تثبت عنده صحتها، لكن هذا أمر لا يمس شأن المجتهد، وقد كان عمر رضي الله عنه، يرى رأياً ثم تبلغه السنة فيرجع، مع أنه ثبت عند أهل العلم بالأثر أن عمر أفقه الصحابة.

ثم الطاعنون فيه كانوا يقرّون بإمامته وتقدمه من حيث لا يدرون. كانوا يرمونه بالرأي. وليس الرأي في سلفنا إلا قوة الاطلاع على معاني النصوص الشرعية، وعلى الحكم المعتبرة من عند الشارع في شرعه الأحكام، ولن يتم اجتهاد، بل ولا علم إلا بالحفظ، وفقه معاني المحفوظ.

فهو رضي الله عنه، حافظ حجة فقيهه، لم يكثر في الرواية، لما شدد في شروط الرواية

والتحمل وشروط القبول (٢٨).

فثبت أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه أحد أئمة الأمصار الذين هم من أهل هذا الشأن، ومن أعيان حفاظ الحديث، الذين لا يسع من يشتغل بعلم الحديث الجهل بهم، ومن كبار معدي حملة العلم النبوي، ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق، والتجريح والتضعيف والتصحيح وأعلم الناس بالكتاب والسنة.

كان أبو حنيفة من أئمة الجرح والتعديل:

قال الحافظ العلامة أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية - رحمه الله تعالى:

"وكلام يحيى بن معين والبخاري ومسلم أبي حاتم وأبي زرعة والنسائي وأبي أحمد بن عدي والدارقطني، وأمثاله في الرجال، وصحيح الحديث وضعيفه، هو مثل كلام مالك والثوري والأوزاعي والشافعي، وأمثالهم في الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وفي الأئمة من هو إمام مع هؤلاء وهؤلاء، مشارك للطائفتين، وان كان بأحد الصنفين أجدر.

وأكثر أئمة الحديث والفقهاء كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وكذلك الأوزاعي والثوري والليث، هؤلاء، وكذلك لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ولأبي حنيفة، أيضاً ماله من ذلك، ولكن لبعضهم في الإمامة في الصنفين ما ليس للآخر، وفي بعضهم من صنف المعرفة بأحد الصنفين ما ليس في الآخر، فرضي الله عن جميع أهل العلم والإيمان" (٢٩).

وقال الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب الحافظ ابن حجر العسقلاني:

"وتكلم في الرجال - كما قاله الذهبي - جماعة من الصحابة ثم من التابعين كالشعبي وابن سيرين، ولكنه في التابعين بقله، لقله الضعف في متبوعهم، إذ أكثرهم صحابة عدول، وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات، ولا يكاد يوجد في القرن الأول الذي انقرض في الصحابة، وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد، كالحارث الأعور، والمختار الكذاب.

فلما مضى القرن الأول ودخل الثاني، كان في أوائله من أوسط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث، فتراهم يرفعون <sup>البرقوف</sup> ويرسلون كثيراً، ولهم غلط كأبي هارون العبدي.

فلما كان عند آخر عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة، تكلم في التوثيق والتضعيف طائفة من الأئمة، فقال أبو حنيفة: "ما رأيت أكذب من جابر الجعفي، وضعف الأعمش جماعة، ووثق آخرين، ونظر في الرجال شعبة. وكان متثبتاً لا يكاد يروي إلا عن ثقة، وكذلك مالك" (٣٠).

وقال الإمام العلامة الحافظ عبد القادر القرشي - رحمه الله تعالى: "أعلم أن الإمام أبا حنيفة قد قبل قوله في الجرح والتعديل، وتلقوه عنه علماء هذا الفن وعملوا به، كتلقاهم عن الإمام

أحمد، والبخاري وابن معين وابن المديني وغيرهم من شيوخ الصنعة، وهذا يدل على عظمة شأنه وسعة علمه وسيادته.

فمن ذلك ما رواه الترمذي - رحمه الله تعالى - في كتاب العلل من الجامع الكبير حدثنا محمود بن غيلان، عن يحيى الحماني، سمعت أبا حنيفة يقول: "ما رأيت أكذب من جابر الجعفي، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح".

وروينا في المدخل لمعرفة دلائل النبوة للبيهقي الحافظ بسنده عن عبد الحميد الحماني، سمعت أبا سعد الصنعاني، وقام إلى أبي حنيفة، فقال: "يا أبا حنيفة ما تقول في الأخذ عن الثوري؟ قال: أكتب عنه فإنه ثقة ما خلا أحاديث أبي إسحاق عن الحارث، وحديث جابر الجعفي.

وقال أبو حنيفة: "طلق بن حبيب كان يرى القدر". وقال أبو حنيفة: "زيد بن عياش ضعيف". وقال سويد بن سعيد، عن سفيان بن عيينة قال: "أول من أقعدني للحديث أبو حنيفة، قدمت الكوفة فقال أبو حنيفة: أن هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، فاجتمعوا علي فحدثتهم"، وقال يعقوب بن شيبة: "كلام رغبة من مصقلة الذي يحدثه سفيان بن عيينة عن أبي حنيفة" قال يعقوب: "عرفه ابن المديني، وقال: "لم أجده عندي". وقال أبو سليمان الجوزجاني: "سمعت حماد بن زيد يقول: ما عرفنا كنية عمرو بن دينار إلا بأبي حنيفة، كنا في المسجد الحرام وأبو حنيفة مع عمرو بن دينار فقلنا له: يا أبا حنيفة. كلمه يحدثنا، فقال: يا أبا محمد حدثهم، ولم يقل يا عمرو... وقال أبو حنيفة: "لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس بابا إلى علم الكلام". وقال أبو حنيفة: "قاتل الله جهنم بن صفوان، ومقاتل بن سليمان. هذا أفرط في النفي وهذا أفرط في التشبيه" (٣١).

قلت: وقال ابن حبان في صحيحه:

"أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقعة قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا يحيى الحماني، قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء، ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، ما أتيت به بشيء قط من رأيي إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ينطق بها، فهذا أبو حنيفة يجرح جابر الجعفي ويكذبه" (٣٢).

وقال البيهقي في كتاب القراءة خلف الإمام: "ولو لم يكن في جرح جابر الجعفي إلا قول

أبي حنيفة - رحمه الله - لكفاه به شراً فإنه رآه، وجربته، وسمع منه ما يوجب تكذيبه فأخبر به.

أخبرنا أبو سعد الماليني، أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، نا الحسين بن عبد الله القطان، أنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا يحيى الحماني يقول: سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيت

فيمن رأيت أفضل من عطاء، ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي ما أتيت به بشيء قط من رأيي إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عتده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يظهرها.

وأخبرنا أبو سعد، أنا أبو أحمد، أنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز، نا محمود بن غيلان، نا عبد الحميد الحماني قال: سمعت أبا سعد الصاغاني يقول: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: ما ترى في الأخذ عن الثوري، فقال: أكتب عنه ما خلا حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي، وحديث جابر الجعفي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا العباس محمد ابن يعقوب يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سمعت أبا يحيى الحماني يقول سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيت فيمن رأيت أكذب من جابر الجعفي" (٣٣).

ونقل الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عطاء بن أبي رباح - "قال أبو حنيفة، ما رأيت أحدا أفضل من عطاء" (٣٤).

ونقل في ترجمة أبي الزيات، فقيه المدينة:

"وقال أبو حنيفة: رأيت ربعة وأبا الزناد، وأبو الزناد أفقه الرجلين" (٣٥).

ونقل في ترجمة جعفر الصادق:

"وعن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد" (٣٦).

وعلى كل حال فإمامنا الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان - رضي الله عنه - من كبار أئمة الجرح والتعديل في عصره، ممن إذا قال قبل قوله، وإذا جرح أو عدل سُمع منه، وكان مثبتا لا يكاد يروي إلا عن ثقة، كشعبة ومالك رحمهما الله تعالى، وهو أول من انتقى الرجال من الأئمة، وأعرض عن من ليس بثقة، ولم يكن يروي إلا ما صح، ولا يحدث إلا ما يحفظ وتبعه مالك. ولقد قال ملك المحدثين إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين: "العلماء أربعة، الثوري، وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي" (٣٧).

فهؤلاء القرناء في العلم، وأبو حنيفة ليس دون مالك في نقد الرجال، إن لم يكن فوقه، وهما الحافظان الحجتان، فمن احتج به أبو حنيفة في كتاب الآثار أو مالك في الموطأ فهو المقبول، ومن اختلفا فيه وذلك قليل جدا. كزيد بن عياش اجتهد في أمره.

أبو حنيفة على شرط أصح الأسانيد:

ويدل على جلاله شأن أبي حنيفة في علم الحديث، وضبطه، وإتقانه وصحة روايته، وعلو مكانته، أنه لما قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وبنى

على ذلك الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي: أن أجل الأسانيد: الشافعي، عن مالك عن نافع عن ابن عمر. اعترض عليه الشيخ الإمام العلامة الحافظ علاء الدين مغلطائي: "بأن أبا حنيفة يروي عن مالك أحاديث فيما ذكره الدارقطني"، وأجاب عنه البلقيني في محاسن الاصطلاح بقوله.

"فأما أبو حنيفة فهو وإن روى عن مالك كما ذكره الدارقطني لكن لم تشتهر روايته عنه كاشتهار رواية الشافعي".

وقال العراقي:

رواية أبي حنيفة عن مالك فيما ذكره الدارقطني في غرائبه وفي المديح ليست من روايته عن نافع عن ابن عمر، والمسئلة مفروضة في ذلك، نعم ذكر الخطيب حديثاً كذلك في الرواية عن مالك. وقال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله:

"أما اعتراضه بأبي حنيفة فلا يحسن، لأن أبا حنيفة لم تثبت روايته عن مالك، وإنما أوردها الدارقطني، ثم الخطيب لروايتين وقعتا لهما عنه، بإسنادين فيهما مقال. وأيضاً فإن رواية أبي حنيفة عن مالك، إنما هي فيما ذكره في المذاكرة، ولم يقصد الرواية عنه كالشافعي الذي لازمه، مدة طويلة، وقرأ عليه الموطأ بنفسه" (٣٨).

فهؤلاء الحفاظ الأئمة الأعلام - لما ذكر الحافظ مغلطائي الإمام أبا حنيفة في سلسلة أصح الأسانيد عن مالك عن نافع عن ابن عمر - لا يرمون أبا حنيفة بسوء الحفظ والضعف في الرواية ولا ينكرون جلالته في الحديث، ولا إتقانه في الرواية، وإنما ينكرون على مغلطائي إدخاله في هذه السلسلة لعدم اشتهاه روايته عن مالك كاشتهار رواية الشافعي عنه، أو لأنها وقعت في المذاكرة ولم يقصد أبو حنيفة الرواية عنه، أو لأن روايته عنه ليست من روايته عن نافع أو لأنه لم تصح روايته عن مالك. فظهر من هذا اتفاق هؤلاء الحفاظ الجهابذة أئمة النقد الإمام الحافظ مغلطائي، والإمام الحافظ البلقيني، والحافظ العراقي، وشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والحافظ السيوطي، على أن الإمام أبا حنيفة في جلالته قدره، وإتقانه في الحديث قرين مالك والشافعي رحم الله الجميع.

ولو قال الإمام مغلطائي أن من أصح الأسانيد أبو حنيفة عن نافع عن ابن عمر لكان له وجه. ولا ريب أن من أصح الأسانيد أبو حنيفة، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، وهذا الإسناد ذكره الإمام عبد الوهاب الشعراني في ميزانه الكبرى، كما ذكر إسناد مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم.

اتفاق الحفاظ الذين جمعوا في رجال الكتب الستة على إسقاط الجرح في ترجمة أبي حنيفة:

لقد اتفق الأئمة الحفاظ الذين جمعوا رجال الصحاح الستة ووضعوا مؤلفاتهم فيها على الثناء

على أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - والتبجيل والتعظيم المفرط له دون الحط عليه والطنن فيه بسوء الحفظ وكثرة الغفلة، بل إنهم يذكرون حفظه وجلالته في العلم ويذكرونه بكل خير فهذا يدل على أنهم لا يبالون بطعن طاعن فيه أيّاً من كان. فهذا الإمام الحافظ المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن، أبو الحجاج جمال الدين محدث الشام العالم الحبر الحافظ الأوحى المشقي الشافعي عمل كتاب تهذيب الكمال وذكر فيه ترجمة الإمام أبي حنيفة، فأطال فيها، وكل ما نقله الحافظ السيوطي في تبيين الصحيفة معزوا إلى الخطيب إنما هو منقول من كتابه تهذيب الكمال.

وعامة ما ذكر في تهذيب الكمال من أقوال أئمة الجرح والتعديل فهو منقول من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم و الكامل لابن عدي و تاريخ بغداد للخطيب و تاريخ دمشق لابن عساكر. والجدير بالملاحظة أنه لم يذكر الإمام المزي في كتابه تهذيب الكمال شيئاً لا يليق بمكانة الإمام أبي حنيفة، كيف لا يكون ذلك وقد قال الذهبي في حقه:

”وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها، والقائم بأعبائها لم تر العيون مثله“ (٣٩).

وقد أثنى الحافظ الذهبي على تصنيفه هذا في تذهيبه في ترجمة أبي حنيفة. قائلاً:

”قلت: قد أحسن شيخنا أبو الحجاج حيث لم يورد شيئاً يلزم منه التضعيف“ ١هـ.

قلت: بل نقل في تهذيب الكمال توثيقه عن إمام الصنعة سيد الحافظ يحيى بن معين - رحمه الله تعالى - حيث قال:

”قال محمد بن سعد العوفي، سمعت يحيى بن معين يقول: ”وكان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظه“. وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: سمعت يحيى بن معين يقول: ”كان أبو حنيفة ثقة في الحديث“، وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز: عن يحيى بن معين: ”كان أبو حنيفة لا بأس به“. وقال مرة: ”كان أبو حنيفة عندنا من أهل الصدق، ولم يتهم بالكذب“.

هذا، وقد صرح الحافظ المزي في مقدمة تهذيب الكمال: ”وما لم يذكر إسناده فيما بيننا وبين قائله، فما كان من ذلك بصيغة الجزم، فهو مما لا نعلم بإسناده عن قائله المحكي ذلك عنه بأساً، وما كان منه بصيغة التمريض فربما كان في إسناده إلى قائله ذلك نظر“.

وثبت من هذا التصريح من توثيق أبي حنيفة الإمام عن ابن معين صحيح ثابت لا شك فيه.

ثم تلاه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في كتابه تهذيب

تهذيب الكمال فقال:

” (ت، س) النعمان بن ثابت بن زوطا، الإمام أبو حنيفة الكوفي فقيه العراق، وإمام أصحاب الرأي، قيل إنه من أبناء فارس، وولاهه لبني تيم بن ثعلبة، رأى أنسا رضي الله عنه. وروى عن (١) عطاء بن أبي رباح و (٢) نافع و (٣) عدي بن ثابت و (٤) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج و (٥) عكرمة و (٦) محارب بن دثار و (٧) علقمة بن مرثد و (٨) سلمة بن كهيل و (٩) حماد بن أبي سليمان و (١٠) الحكم بن عتيبة و (١١) أبي جعفر الباقر و (١٢) قتادة و (١٣) عمرو بن دينار، وخلق سواهم. وقيل إنه روى عن (١٤) الشعبي و (١٥) طاؤس.

وعنه ابنه (١) حماد و (٢) حمزة الزيات و (٣) داؤد الطائي و (٤) زفر بن الهذيل و (٥) نوح بن أبي مريم و (٦) أبو يوسف القاضي و (٧) محمد بن الحسن و (٨) ابن المبارك و (٩) أبو يحيى الحماني و (١٠) وكيع و (١١) حفص بن عبد الرحمن البلخي و (١٢) سعد بن الصلت و (١٣) أبو نعيم و (١٤) أبو عبد الرحمن المقرئ و (١٥) الحسن بن زياد اللؤلؤي و (١٦) أبو عاصم النبيل و (١٧) عبد الرزاق و (١٨) عبيد الله بن موسى، وخلق كثير.

قال أحمد العجلي: هو من رهط حمزة الزيات. وكان خزازا يبيع الخبز. وقال محمد بن إسحاق البكائي، عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال: زوطى من أهل كابل، وولد ثابت على الإسلام، وكان أبو حنيفة خزازا، ودكانه معروف في دار عمرو بن حريث، وقيل: أصله من نساء، وقيل: من ترمذ، وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: أنا إسماعيل ابن حماد بن النعمان بن ثابت النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رق... ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي رضي الله عنه، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه، وفي ذريته: وأبو النعمان هو الذي أهدى لعلّي يوم النيروز، فقال: ”نوروزنا كل يوم“.

قال صالح بن محمد جزرة وغيره: سمعنا يحيى بن معين يقول: ”أبو حنيفة ثقة في الحديث“. وروى أحمد بن محمد بن محرز عن ابن معين: ”لا بأس به“.

لقد ضربه ابن هبيرة على أن يكون قاضيا فأبى. قال ابن كأس النخعي: ثنا جعفر بن محمد بن حازم ثنا الوليد بن حماد عن الحسن بن زياد عن زفر بن الهذيل: سمعت أبا حنيفة قال: ”كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه (مبلغا يشار إلي فيه بالأصابع) (٤٠) وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امرأة فقالت: رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟ فلم أدر ما أقول، فأمرتها أن تسأل حمادا ثم ترجع فتخبرني، فسألته فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقه. ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج، فرجعت وأخبرتني فقلت لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي، وجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله،

وأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطئ أصحابه، فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحدائي إلا أبو حنيفة، فصحبته عشر سنين ثم نازعتني نفسي لطلب الرياسة، فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوما بالعشي وعزمني أن أفعل، فلما دخلت المسجد فرأيت لم تطب نفسي أن أعتزله، فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج، حتى وردت عليّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب، وأكتب جوابي، فغاب شهرين، ثم قدم، فعرضت عليه المسائل، وكانت نحو من ستين مسألة، فخالفتني في عشرين منها، فأليت أن لا أفرقه حتى يموت."

وقال محمد بن مزاحم، سمعت ابن المبارك يقول: لولا أن الله أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس، وقال سليمان بن أبي شيخ: حدثني حجر بن عبد الجبار قال: قيل للقاسم بن معن السعودي: ترضي أن تكون من غلمان أبي حنيفة قال: ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة، وقال أحمد بن الصباح: سمعت الشافعي يقول: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وعن روح قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة فأتاه نعي أبي حنيفة فاسترجع وتوجع وقال: أي علم ذهب. وقال ضرار بن سرد: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه أبو حنيفة أو سفيان قال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه وعن ابن المبارك قال: ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة. وعنه قال: إذا اجتمع سفيان وأبو حنيفة فمن يقوم لهما على فتيا؟ وقال أبو عروبة: سمعت سلمة بن شبيب، سمعت عبد الرزاق، سمعت ابن المبارك يقول: إن كان أحد ينبغي أن يقول برأيه فأبو حنيفة. وروى جندل بن والق حدثني محمد بن بشر قال: كنت اختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان، فأتي أبا حنيفة فيقول: من أين جئت، فأقول من عند سفيان، فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله، فأتي سفيان فيقول: من أين جئت، فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض. وروى بكر بن يحيى بن زبان عن أبيه قال لي أبو حنيفة: يا أهل البصرة أنتم أروع منا ونحن أفقه منكم. وعن شداد بن حكيم قال: ما رأيت أعلم من أبي حنيفة وعن مكى بن إبراهيم قال: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه. وقال يحيى بن معين: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: لا تكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله، وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

وقال أبو الفضل عباس بن عزيز القطان ثنا حرمة سمعت الشافعي يقول: الناس عيال على هؤلاء فمن أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو

عيال على ابن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سليمان، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على الكسائي وروي حماد بن قريش عن أسد بن عمرو قال: صَلَّى أَبُو حَنِيفَةَ فِيمَا حَفِظَ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ عَامَةَ اللَّيْلِ يَقْرَأُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ بِكَأْوِهِ بِاللَّيْلِ حَتَّى يَرْحَمَهُ جِيرَانُهُ، وَحَفِظَ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تُوْفِي فِيهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، قُلْتُ: هَذِهِ حِكَايَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَفِي رَوَاتِهَا مَنْ لَا يَعْرِفُ، رَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْحَارِثِيَّ الْبُخَارِيَّ الْفَقِيهَ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَلْخِيَّ ثَنَا حَمَادُ فَذَكَرَهَا، قَالَ الْحَارِثِيُّ أَيْضًا وَحَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبِ الْمُرُوزِيِّ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَبِي سَأَلْنَا الْحَسَنَ بْنَ عِمَارَةَ أَنْ يَتَوَلَّى غَسْلَهُ فَفَعَلَ، فَلَمَّا غَسَلَهُ قَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ وَغَفَرَ لَكَ، لَمْ تَفْطُرْ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَمْ تَتَّوَسَّدْ يَمِينِكَ بِاللَّيْلِ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَدْ أَتَعَبْتَ مِنْ بَعْدِكَ. وَفَضَحْتَ الْقِرَاءَةَ. وَرَوَى بَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ، لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِّي بِمَا لَمْ أَفْعَلْ، فَكَانَ يَحْيَى اللَّيْلَ صَلَاةً وَدَعَاءًا وَتَضَرُّعًا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَانَ: ثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصِ الْبَزَارِ سَمِعْتُ حَفْصَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مَسْعَرًا يَقُولُ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ لَيْلَةً فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَصَلِّي فَقَرَأَ سَبْعًا فَقُلْتُ: يَرْكَعُ ثُمَّ قَرَأَ الثَّلَاثَ ثُمَّ النِّصْفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ حَتَّى خَتَمَ فِي رَكْعَةٍ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ. وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ مَصْعَبٍ قَالَ: خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ أَرْبَعَةً، عَثْمَانُ وَتَمِيمُ الدَّارِي، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ. وَعَنْ يَحْيَى بْنِ نَصْرِ قَالَ: (أَبُو حَنِيفَةَ) <sup>(٤١)</sup> رُبَّمَا خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ سِتِينَ خَتْمَةً، وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ الرَّبِيعِ ثَنَا حَبَانُ بْنُ مُوسَى سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: قَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ أَوْعٍ أَهْلَهَا فَقَالُوا: أَبُو حَنِيفَةَ. قَالَ سَلِيمَانُ: فَسَمِعْتُ مَكِيَّ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: جَالَسْتُ الْكُوفِيِّينَ فَمَا رَأَيْتُ فِيهِمْ أَوْعٍ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ. وَقَالَ حَامِدُ بْنُ آدَمَ سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَوْعٍ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، قَدْ جَرَّبْتُ بِالسِّيَاطِ وَالْأَمْوَالِ. وَعَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الرُّقِيِّ قَالَ: كَلَّمَ ابْنَ هَبِيرَةَ أَبَا حَنِيفَةَ أَنْ يَلِي قِضَاءَ الْكُوفَةِ فَأَبَى فَضْرِبَهُ مِائَةَ سَوْتٍ وَعِشْرَةَ أَسْوَاطٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ عِشْرَةَ أَسْوَاطٍ، ثُمَّ خَلَّاهُ، وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ: حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: أَرْسَلَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ هَبِيرَةَ، فَأَتَيْتُهُ بِأَبِي حَنِيفَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ، فَأَبَى، فَضْرِبَهُ أَسْوَاطٍ، وَعَنْ مَغِيثِ بْنِ بَدِيلٍ قَالَ: خَارِجَةُ بْنُ مَصْعَبٍ: أَجَازَ الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ بِعِشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ فَدَعَا لِيقْبِضَهَا، فَشَاوَرَنِي وَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ إِنْ رَدَدْتَهَا عَلَيْهِ غَضِبَ، فَقُلْتُ: إِنْ هَذَا الْمَالُ عَظِيمٌ فِي عَيْنِهِ فَإِذَا دَعَيْتَ لِتَقْبِضَهَا قَتَلَ: لَمْ يَكُنْ هَذَا أَمْلِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَدَعَا لِيقْبِضَهَا فَقَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ خَبْرُهُ فَحَبَسَ الْجَائِزَةَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ: سَمِعْتُ يَزِيدَ

بن هارون يقول: أدركت الناس فما رأيت أحداً أعقل ولا أروع ولا أفضل من أبي حنيفة، وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: كان أبو حنيفة يتبين عقله في منطقته ومشيه ومدخله ومخرجه وقال سهل بن عثمان ثنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان لنا جار طحان رافضي له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر، فرمحه ذات ليلة أحدهما فقتله، فقال أبو حنيفة: انظروا الذي رمحه الذي سماه عمر؟ فنظروا فكان ذلك. وقال يعقوب بن شيبة: أملى علي بعض أصحابنا أبياتا لابن المبارك.

رأيت أبا حنيفة كل يوم	يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه	إذا ما قال أهل الجور جورا
يقائس من يقائسه بلب	فمن ذا تجعلون له نظيرا
كفانا فقد حماد وكانت	مصيبتنا به أمرا كبيرا
فرد شماتة الأعداء عنا	وأبدى بعده علما كثيرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى	ويطلب علمه بحرا غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعتها	رجال العلم كان بها بصيرا

روى نصر بن علي عن الخريبي قال: الناس في أبي حنيفة - رحمه الله - حاسد وجاهل، وأحسنهم عندي حالاً الجاهل. وقال يحيى بن أيوب: سمعت يزيد بن هارون يقول: أبو حنيفة رجل من الناس، خطأه كخطأ الناس وصوابه كصواب الناس.

توفي أبو حنيفة ببغداد، قال سعيد بن عفير وغيره: في رجب سنة خمسين ومائة، ومن قال: سنة إحدى وخمسين أو ثلاث فقد وهم. وعن الحسن بن يوسف قال: صلى على أبي حنيفة ست مرات من كثرة الزحام.

روى له الترمذي في العلل قوله: ما رأيت أفضل من عطاء، (وقاص عوص: وقد روى له النسائي في سننه الكبير في "باب من وقع على بهيمة": قال النسائي: أنا علي بن حجر قال: ثنا عيسى هو ابن يونس عن النعمان يعني أبا حنيفة عن عاصم هو ابن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس قال: ليس علي من أتى البهيمة حد) (٤٢).

قلت: قد أحسن شيخنا أبو الحجاج حيث لم يورد شيئا يلزم منه التضعيف (٤٣).

فهذا ما ذكره الإمام، الحافظ، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز التركماني ثم الدمشقي - رحمه الله تعالى - في ترجمة أبي حنيفة - رحمه الله تعالى، وجرى على منوال المزي، والذهبي، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية شهاب الدين

أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي رحمه الله تعالى. فلم يذكر في كتابه تهذيب التهذيب في ترجمة الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه شيئاً يلزم منه تضييفه وهؤلاء الثلاثة هم الذين يقول في حقهم الإمام الحافظ - جلال الدين السيوطي: ما نصه:

”والذي أقوله: أن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة،

المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر“ (٤٤).

وكذلك فعل الإمام المحدث الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن

كثير الدمشقي الشافعي - رحمه الله تعالى - فذكر له في كتابه البداية والنهاية ترجمة حسنة حيث

قال في وفيات سنة خمسين ومائة:

”وفيها توفي الإمام أبو حنيفة... واسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي، فقيه

العراق، وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة، أصحاب

المذاهب المتبوعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك، قيل: وغيره،

وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة. والله أعلم.

وروى عن جماعة من التابعين، منهم الحكم، وحماد بن أبي سليمان، وسلمة بن كهيل،

وعامر الشعبي، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والزهري، ونافع مولى ابن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري

وأبو إسحاق السبيعي.

وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد، وإبراهيم بن طهمان وإسحاق بن يوسف الأزرق، وأسد

بن عمرو القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وحمزة الزيات، وداؤد الطائي، وزفر، وعبد الرزاق،

وأبو نعيم، ومحمد بن الحسن الشيباني، وهشيم، ووكيع، وأبو يوسف القاضي.

قال يحيى بن معين: كان ثقة، وكان من أهل الصدق، ولم يتهم بالكذب، ولقد ضربه ابن

هبيبة على القضاء فأبى أن يكون قاضياً. وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى، وكان يحيى

يقول: لا نكذب، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله، وقال عبد الله بن

المبارك: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري، لكنت كسائر الناس... وقال عبد الله بن

داؤد الحزبي. ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظه الفقه والسنن عليهم، وقال

سفيان الثوري وابن المبارك: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه. وقال أبو نعيم: كان صاحب

غوص في المسائل، وقال مكي بن إبراهيم: كان أعلم أهل الأرض. (١هـ باختصار).

وكذلك فعل صاحب المشكاة الشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في أسماء

رجالهم، فقال في ترجمة الإمام:

“قال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويل الصمت، دائم الفكر، قليل المحادثة للناس. وهذا من أوضح الأمارات على علم الباطن، والاشتغال بمهمات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله. ولو ذهبنا إلى شرح مناقبه وفضائله لأطلقنا الخطب ولم نصل إلى الغرض، فإنه كان عالماً عاملاً ورعاً زاهداً عابداً إماماً في علوم الشريعة. والغرض بإيراد ذكره في هذا الكتاب وإن لم نرِ عنه حديثاً في المشكاة للتبرك به لعلو مرتبته ووفور علمه.”

وقبلهم الفووي الإمام الحافظ الأوحى شيخ الإسلام علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي رحمه الله في كتابه تهذيب الأسماء واللغات فلم يذكر في ترجمته شيئاً سوى فضائله ومناقبه والثناء عليه في علمه وورعه. وقبله العلامة البارع الأوحى البليغ القاضي الرئيس مجد الدين أبو السعادات البارك بن محمد الشيباني الجزري ثم الموصلية، الكاتب ابن الأثير صاحب جامع الأصول و النهاية في غريب الحديث والأثر حيث ذكر ترجمة الإمام في الركن الثالث من كتابه جامع الأصول وأثنى عليه ثناءً بليغاً وردّ على طاعنيه فقال:

النعمان بن ثابت: هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الإمام الفقيه الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات، وكان خزازاً يبيع الخز، له ذكر في الأشعار من كتاب الحج، وكان جده زوطى من أهل كابل، وقيل من أهل بابل، وقيل من الأنبار، وكان مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق، وولد أبو ثابت على الإسلام قال: إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن مرزبان، من أبناء الفرس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط، ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب. وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو أن يكون الله قد استجاب ذلك لعلّي.

ولد سنة ثمانين، ومات ببغداد سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، والأول أصح وأكثر، ودفن بمقابر الخيزران، وقبره معروف ببغداد، وكان في أيام أبي حنيفة أربعة من الصحابة، أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون: إنه لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولا يثبت ذلك عند أهل النقل (٤٥).

وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح، وأبا إسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، والهيثم ابن حبيب، ومحمد بن المنكدر، ونافعا مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، وسماك بن حرب.

وروى عنه عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم.

نقله المنصور من الكوفة إلى بغداد فأقام بها، إلى أن مات فيها، وكان أكرهه ابن هبيرة أيام مروان بن محمد الأموي على القضاء بالكوفة فأبى فضربه مائة سوط في عشرة أيام، كل يوم عشرة، فلما رأى ذلك خلى سبيله، ولما أشخصه المنصور إلى بغداد أراد على القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن

وحلف أبو حنيفة لا يفعل وتكررت الأيمان بينهما، فحبسه المنصور، ومات في الحبس، وقيل: إنه افتدى نفسه بأن تولى عدد اللبن ولم يصح.

كان ربعة من الرجال، وقيل: كان طوالاً تعلوه سمرة، حسن الوجه أحسن الناس منطقتاً، وأحلامه نغمة، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه، قال الشافعي رحمه الله: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة، قال: "نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وقال الشافعي رحمه الله: "من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة". ولو ذهبنا إلى شرح مناقبه وفضائله لأطلقنا الخطب ولم نصل إلى الغرض منها، فإنه كان عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً إماماً في علوم الشريعة مرضياً.

وقد نسب إليه، وقيل عنه من الأقاويل المختلفة التي يجمل قدره عنها من القول بخلق القرآن، والقول بالقدر، والقول بالأرجاء، وغير ذلك مما نسب إليه، ولا حاجة إلى ذكرها ولا إلى ذكر قائلها، والظاهر أنه كان منزهاً عنها، ويدل على صحة نزاهته منها ما نشر الله تعالى له من الذكر المنتشر في الآفاق، والعلم الذي طبق الأرض، والأخذ بمذهبه وفقهه، والرجوع إلى قوله وفعله وإن ذلك لو لم يكن من الله فيه سر خفي ورضى إلهي وفقه الله إليهما، لما جمع شطر أهل الإسلام أو ما يقاربه به على تقليده والعمل برأيه ومذهبه، حتى قد عبد الله ودين وفقهه وعمل برأيه ومذهبه وأخذ بقوله إلى يومنا ما يقارب أربع مائة وأربعين سنة وفي هذا أدل دليل على صحة مذهبه وعقيدته وأن ما قيل عنه منزه عنه. وقد جمع أبو جعفر الطحاوي، وهو من أكبر الآخذين بمذهبه كتاباً سماه عقيدة أبي حنيفة رحمه الله وهي عقيدة أهل السنة والجماعة. وليس فيها شيء مما نسب إليه، وقيل عنه وأصحابه هم أخبر بحاله ويقولون من غيرهم، فالرجوع إلى ما نقلوه عنه أولى مما نقله غيرهم عنه. وذكر أيضاً سبب قول من قال عنه ما قال، والحامل له على ما نسب إليه. ولا حاجة لنا إلى ذكر ما قالوه. فإن مثل أبي حنيفة ومحلّه في الإسلام لا يحتاج إلى دليل يعتذر به مما نسب إليه. والله أعلم" (٤٦).

وقبل هؤلاء كلهم الحافظ البارع العلامة تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم السمعاني الروزي ترجم له في كتاب الأنساب ترجمة حسنة وذكر فضائله ومناقبه. فهؤلاء الحفاظ النقاد أئمة الجرح والتعديل لم يوردوا في تصانيفهم في الرجال شيئاً مما ذكر أعداؤه وحساده من مطاعنه ومثالبه، فثبت من صنيع هؤلاء جميعاً أن كل ما ذكر في بعض كتب الرجال من جرحه ينبغي أن يرمى به عرض الحائط. ولا شك أنه ما طعن أحد في قول من أقواله إلا لجهله به إما من حيث دليله وإما من حيث دقة مداركه - رضي الله عنه - عليه، وقد أجمع السلف والخلف على كثرة علمه، وورعه، وعبادته، ودقة مداركه واستنباطاته. ولا عبرة بقول الجهال والحساد والأعداء على كل حال ولقد صدق الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى حيث يقول في الميزان الكبرى.

"وأما ما نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين في ذم الرأي، فأولهم تبرياً من كل رأي يخالف ظاهر الشريعة الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه. خلاف ما يضيفه إليه بعض المتعصبين، ويا فضيحتة يوم القيامة من الإمام إذا وقع الوجه في الوجه، فإن من

كان في قلبه نور لا يتجراً أن يذكر أحداً من الأئمة بسوء. وأين المقام من المقام إذ الأئمة كالنجوم في السماء. وغيرهم كأهل الأرض الذين لا يعرفون من النجوم إلا خيالها على وجه الماء. وقد روى الشيخ محي الدين في الفتوحات المكية بسنده إلى الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: "إياكم والقول في دين الله تعالى بالرأي وعليكم بإتباع السنة فمن خرج عنها ضل" (٤٧).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

"والعلماء أمناء الشارع على شريعته من بعده، فلا اعتراض عليهم فيما بينوه للخلق، واستنبطوه من الشريعة، لا سيما الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، فلا ينبغي لأحد الاعتراض عليه، لكونه من أجل الأئمة، وأقدمهم تدوينا للمذهب، وأقربهم سندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشاهداً لفعل أكبر التابعين من الأئمة رضي الله عنهم أجمعين.

وكيف يليق بأمثالنا الاعتراض على إمام عظيم، أجمع الناس على جلالته، وعلمه، وورعه، وزهده وعفته، وعبادته، وكثرة مراقبته لله عزوجل، وخوفه منه طول عمره، ما هذا والله إلا عمى في البصيرة.....

وإياك أن تخوض مع الخائضين في أعراض الأئمة وبغير علم فتخسر في الدنيا والآخرة، فإن الإمام رضي الله عنه كان متقيداً بالكتاب والسنة متبرئاً من الرأي، كما قدمنا لك في عدة مواضع من هذا الكتاب.

ومن فتش مذهبه رضي الله عنه وجده من أكثر المذاهب احتياطاً في الدين، ومن قال غير ذلك فهو من جملة الجاهلين المتعصبين المنكرين على أئمة الهدى بفهمه السقيم، وحاشى ذلك الإمام الأعظم من مثل ذلك حاشاه، بل هو إمام عظيم متبع إلى انقراض المذاهب كلها، كما أخبرني به بعض أهل الكشف الصحيح، وأتباعه لن يزالوا في ازدياد كلما تقارب الزمان، وفي مزيد اعتقاده في أقواله، وأقوال أتباعه وقد قدمنا قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه: "الناس كلهم عيال في الفقه على أبي حنيفة، وقد ضرب بعض أتباعه وحبس ليقلد غيره من الأئمة فلم يفعل، وما ذلك والله سُدَى، ولا عبرة بكلام بعض المتعصبين في حق الإمام، ولا بقولهم أنه من جملة أهل الرأي، بل كلام من يطعن في هذا الذي عند المحققين يشبه الهذيان. ولو أن هذا الذي طعن في الإمام كان له قدم في معرفة منازع المجتهدين، ودقة استنباطاتهم لقدم الإمام أبا حنيفة في ذلك على غالب المجتهدين الخفاء مدركه رضي الله عنه.

وأعلم يا أخي: إنني ما بسطت لك الكلام على مناقب الإمام أبي حنيفة أكثر من غيره إلا رحمة بالمتهورين في دينهم من بعض طلبية المذاهب المخالفة له، فإنهم ربما وقعوا في تضييق شيء من أقواله لخفاء مدركه عليهم بخلاف غيره من الأئمة، فإن وجوه استنباطاتهم من الكتاب والسنة ظاهرة لغالب طلبية العلم الذين لهم قدم في الفهم ومعرفة المدارك (٤٨).

## هوامش

- ١- سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ٣٢٦، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢- نفس المصدر: ج ٦، ص ٣٩٠، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٣- نفس المصدر: ج ٦، ص ٢٩٢، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤- نفس المصدر: ج ٦، ص ٤٠٣، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٥- نفس المصدر: ج ٨، ص ٩٤، الطبعة الثالثة بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٦- نفس المصدر: ج ٨، ص ٩٤.
- ٧- سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ١١٢، ١١٣.
- ٨- سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٩١، ٩٢.
- ٩- سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٣٩٥، حتى ٣٩٧.
- ١٠- تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٢٠٤، ٢٠٥، الطبعة الثالثة بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن، الهند، ١٣٧٥هـ.
- ١١- نفس المصدر: ج ١، ص ٢٤٤.
- ١٢- منهاج السنة: ج ٣، ص ١٤٢، طبع بولاق مصر، ١٣٢٢هـ.
- ١٣- نفس المصدر: ج ٤، ص ١٧.
- ١٤- منهاج السنة: ج ١، ص ١٦٧، ١٦٨.
- ١٥- نفس المصدر: ج ١، ص ١٧٢، ١٧٣.
- ١٦- نفس المصدر: ج ١، ص ٢١٥، ٢١٦.
- ١٧- نفس المصدر: ج ١، ص ١٧٣.
- ١٨- سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٩٢.
- ١٩- تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٨٢.
- ٢٠- الميزان الكبرى: ج ١، ص ٥٩، طبع الأزهرية، مصر، ١٢٤٤هـ.
- ٢١- نفس المصدر: ج ١، ص ٢٧.
- ٢٢- أصول الفقه للسرخسي: ج ١، ص ٣٥٠، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٧٢هـ.
- ٢٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ج ٥، ص ١٨٨، طبع مصر، ١٣٢٨هـ.
- ٢٤- رد المحتار على الدر المختار: ج ١، ص ٤٨، طبع مصر.
- ٢٥- نسخة هذا الكتاب محفوظة في خزانة مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي نسخة عكسية.
- ٢٦- ج ١، ص ٤٤٥، قامت بنشره وطبعه لجنة إحياء الأدب السندي، بكراتشي، ١٣٧٩هـ.
- ٢٧- عقود الجمان، طبع حيدر آباد دكن بالهند، ١٣٩٤هـ، ص ٣١٩.

- ٢٨- عقد الجواهر الثمين، ص ٤، ٥، ٦، طبع مصر، ١٣٢٢هـ.
- ٢٩- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، طبع مصر، ص ١٣، ١٤.
- ٣٠- فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، ص ١٧٩، طبع مطبعة أنوار محمدي لكهنؤ، بالهند.
- ٣١- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج ١، ص ٣٠، ٣١، الطبعة الأولى.
- ٣٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ج ٣، ص ٢٧٣.
- ٣٣- كتاب القراء خلف الإمام للبيهقي: ص ١٠٨، ١٠٩، طبع دهلي عاصمة الهند، ١٩١٥م.
- ٣٤- ج ١، ص ٩٨.
- ٣٥- ج ١، ص ١٣٥.
- ٣٦- تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٦٦.
- ٣٧- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير: ج ١٠، ص ١١٦، طبع مصر.
- ٣٨- تدريب الراوي: ص ٣٠، طبع الخيرية، ١٣٠٧هـ.
- ٣٩- تذكرة الحفاظ: ص ١٣٩٨، الطبعة الثالثة، ١٣٧٧هـ، بالهند.
- ٤٠- مابين القوسين سقط في الأصل وأخذناه من تهذيب الكمال.
- ٤١- سقط من الأصل "أبو حنيفة" فأخذناه من تهذيب الكمال.
- ٤٢- وما بين الربيعين ليس في الأصل وإنما هو بالهامش. (قال عوض) أظنه تصحيف (قال ابن حجر) والله أعلم.
- ٤٣- يوجد من هذا الكتاب نسخة مصورة في خزانة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد تفصل الأستاذ عبدالقيوم السندي بإرسال هذه الترجمة إليّ فجزاه الله تعالى خيراً.
- ٤٤- ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ٣٤٨، ترجمة الإمام الذهبي نشره القدسي بدمشق.
- ٤٥- قال العلامة شمس الدين القهستاني رحمه الله تعالى في مقدمة جامع الرموز شرح مختصر الوقاية المسمى بالوقاية ج ١، ص ٦، طبع كلكتة ١٢٧٤هـ ما نصه: "إن الإمام من التابعين، رأى أنس بن مالك كما قال الشيخ الجزري في أسماء الرجال القراء بل من أكابرهم كما في "كشف الكشاف في سورة النور" ولا يضره ما في جامع الأصول: "أن ذلك مما لا يثبت" فإنه قال في آخر كلامه: "إن أصحابه أعلم بحاله من غيرهم، فالرجوع إلى ما نقلوه عنه أولى من غيرهم". والعلامة القهستاني محمد شمس الدين المفتي ببخارى من مشاهير أهل العلم، كان إماماً عالماً زاهداً فقيهاً متبجراً، يقال: إنه ما نسي قط ما طرق بسمعه، وترجمته مذكورة في شذرات الذهب في وفيات ٩٥٣هـ.
- ٤٦- ورأيت من هذا الكتاب نسخة خطية جيدة الخط في خزانة محمد آباد طونك من أعمال راجبوتانه بالهند، وقد تفصل علينا الأستاذ الشيخ العالم عمران خان بن عرفان خان المرحوم الطونكي بنقل هذه الترجمة من جامع الأصول جزاه الله تعالى عنا وعن أهل العلم خيراً.
- ٤٧- الميزان الكبرى: ج ١، ص ١٥٤، ١٥٥.
- ٤٨- الميزان الكبرى: ج ١، ص ٦٩.